محمود محمد طه

الله نور السموات والأرض

الطبعة الاولى ربيع الثانى ١٣٩٣ مايو ١٩٧٣ م.
الطبعة الثانية جمادى الأولى ١٣٩٦ مايو ١٩٧٦م

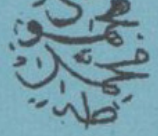

اللهُ نورُ السمواتِ والأرضْ

الطبعة الأولى
مايو ١٩٧٣
الطبعة الثانية
مايو ١٩٧٦

الإهـــداء

القلوب التى تهيم بذكرى الله،
وتتنزع إلى جواره ..

بسم الله الرحمن الرحيم

«وكذلك يجتبيك ربك، ويعلمك
من تأويل الأحاديث، ويتم نعمته عليك»

صدق الله العظيم ..

مقدمة هذا الكتيب الموجز عبارة عن شرح عرفانى للآية الكريمة: «الله نور السموات والأرض .. مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درى، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضىء، ولو لم تمسسه نار .. نور على نور .. يهدى الله لنوره من يشاء .. ويضرب الله الأمثال للناس .. والله بكل شىء عليم»

لقد سبق لنا أن نشرنا هذا الشرح ضمن كتابنا «رسائل ومقالات» الجزء الثانى .. ونحن اليوم نعيد نشره منفرداً فى هذا الكتيب، لأننا قد وجدنا فيه نموذجاً مثالياً أبرز بوضوح ثنائية معانى القرآن .. وهذه الثنائية عندنا من الأهمية بمكان كبير، لأنها هى مفتاح فهم الفكرة الجمهورية، والفكرة الجمهورية هى الاسلام ..

القرآن بين التفسير والتأويل للقرآن تفسير، وله تأويل ..

وتفسير القرآن هو ما يعطيه ظاهر النص العربى، وهو المعنى القريب الذى تنزل من علياء الرب لأرض

العبد، من أجل تفهيمه، وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى: « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » .. أما التأويل فإنه هو محاولة إبراز طبقات المعانى الصاعدة إلى المعنى البعيد عند الرب، وإلى ذلك الاشارة بالقول الكريم « وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم » .. والتأويل يعنى تفسير مايؤول إليه الشئ، أى ما يرجع إليه الشئ، ولما كانت الرَّجعى هى إلى الله: « وإن إلى ربك الرَّجعى »، أصبح التأويل يعنى معرفة الله فى تنزلاته المختلفة، وهذا هو عين ماقصدناه حين قلنا أن التأويل هو المعنى البعيد عند الرب .. ولما كان التأويل بهذه الرفعة، وبهذا السموق، فإنه يستحيل أن يحيط به أحد إحاطة شاملة .. وفى هذا ورد قوله تعالى: « وما يعلم تأويله إلا الله » .. ومايهمنا تقريره الآن هو أن هذه الآية لا تعنى أن التأويل، من حيث هو، لا يعلمه أحد غير الله، وانما هى تعنى أن الإحاطة بالتأويل لا تكون إلا لله وحده، وللعارفين حظوظ متفاوتة فى معرفة التأويل على فحوى الآية « وفوق كل ذى علم عليم »، حتى ينتهى العلم إلى علام الغيوب.

باختصار التفسير هو قاعدة هرم المعانى، حيث آيات الآفاق .. والتأويل هو قمة هرم المعانى، حيث آيات النفوس .. « سنريهم آياتنا فى الآفاق، وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد » .. فمن رأى المعنى القريب وغاب عنه المعنى البعيد، كما يفعل الفقهاء اليوم، فما عرف القرآن .. ومن رأى المعنى البعيد وذهل عن المعنى القريب فما عرف القرآن

أيضاً .. والرشد إذن ، فى إدراك المعنيين، ثم العبور من المعنى القريب إلى المعنى البعيد ، وهذا هو التأويل .. فالتأويل هو تفسير الظاهر، وتفسير طبقة ، أو طبقات، من معانى الباطن، وهذا هو ما يفعله الجمهوريون الآن ..

التأويل ليس ترفاً ذهنياً

إن الدين لا يمكن أن يعود لتنظيم الحياة فى عصرنا الحاضر ، إلا إذا استطعنا ابرازه فى قمة كبيرة تتضاءل أمامها كل انجازات العصر الحديث ، فى مجال العلم المادى ، و إلا إذا استطعنا إبراز مزيته على جميع الأفكار، وجميع الفلسفات المعاصرة .. وغنى عن البيان أن هذا لا يمكن أن يتم لنا فى مستوى تفسير القرآن فى القاعدة ، وانما يجب أن نخوض فى المعانى الدقيقة التى تجاوزت الظاهر المحسوس .. وهذا يعنى التأويل ..

بهذا الفهم فإن التأويل ليس ترفاً ذهنياً ، وانما هو ضرورة لبعث الاسلام ، إذ بمعرفته نعرف الحكمة من النصوص ، ونستطيع أن نميز النصوص الأصلية من النصوص الفرعية ، فنطور الفروع نحو الأصول .. وهذا هو تطوير التشريع الاسلامى الذى عليه يتوقف تنظيم المجتمع الحديث على أساس الديمقراطية الاشتراكية .

وبالتأويل أيضاً ينفتح الباب لمعرفة النفس البشرية التى تعانى الآن من الخوف والقلق فتنتم لها، بهذه المعرفة، وحدتها وسلامها ..

فى ختام هذه المقدمة نحب أن نؤكد أن التأويل ليس

هواجس نفس كثيرة الخطرات، ولا هو بالمعاني الفطيرة، وانما هو واردات نفس تأدبت بأدب الشريعة، وأدب الحقيقة، فأورثها الله من لدنه علماً. وفاءً بالآية الكريمة « واتقوا الله، ويعلمكم الله »..

نرجو أن يجد القارئ الكريم المتعة والفائدة في متابعة هذه المعاني الكبيرة التي زخر بها هذا الكتيب الصغير ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« الله نور السموات والأرض .. مثل نوره كمشكاة ، فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضئ ، ولو لم تمسسه نار .. نور على نور .. يهدى الله لنوره من يشاء .. ويضرب الله الأمثال للناس .. والله بكل شئ عليم »

عزيزى جمعة : تحية طيبة ، وبعد فقد سألت عن هذه الآية فى مدى ، وقد وعدتك بالكتابة إليك فيها ..

« الله نور السموات والأرض » .. موجدهما .. وليس وجود السموات والأرض غير وجود الله .. فيعود المعنى ليكون « الله نور السموات والأرض » الله حقيقة السموات والأرض ، وهما مظهره ، بهما ظهر لعارفيه .. ولذلك قال ، فى آخر الآية « ويضرب الله الامثال للناس » ، ومعنى ذلك أنه يظهر بما هو مثله لمن هو مثله و « ليس كمثله شئ » .. فوقع التشبيه ، والتنزيه .. ثم قال « والله بكل شئ عليم » معناها الله بكل شئ ظاهر ، وشاهد ، ومشهود ، ومعلم من يعلم عنه ..

والسموات والأرض « حق » وكل ما خلق الله فيهما « حق » ، والله « حقيقة كل حق » .. ولا يدخل « الباطل » فى الوجود إلا بنظرة الانسان

الى الوجود .. يقول تعالى : « وما خلقنا السماء ، والأرض ، وما بينهما باطلاً .. ذلك ظن الذين كفروا .. فويل للذين كفروا من النار »

والله ، فى صرافة ذاته ، فوق الأسماء ، وفوق العبارة ، وليس الى معرفته من سبيل .. والى ذلك الاشارة بالحديث القدسى : « كنت كنزاً مخفياً ، فاحببت أن أُعرف ، فخلقت الخلق ، فتعرفت إليهم ، فبى عرفونى ».

ومعنى تعرفت إليهم ظهرت لهم بهم ، وبكل شئ .. وهو المعنى بقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض »

والله ، من صرافة ذاته ، تنزل لخلقه ليعرفوه فى ثلاثة منازل ، أو قل ثلاث مراتب : مرتبة الاسم ، ومرتبة الصفات ، ومرتبة الأفعال .. وبالأفعال برزت السموات والأرض ، ومن فيهن الى حيز المحسوس - فمرتبة الاسم مرتبة الانسان الكامل .. ومرتبة الصفة مرتبة الانسانة الكاملة ، ومرتبة الفعل مرتبة الوجود الخارجى المحسوس .. فالوجود المحسوس صورة خارجية ، لصورة داخلية ، فى النفس البشرية .. وهذه الصورة الداخلية هى ، فى المرأة كما هى ، فى الرجل .. ولكنها ، فى المرأة ، موجودة على صورة اكثر سذاجة منها ، فى الرجل ، وبذلك فهى أقرب الى "الصرافة" التى تنزلت منها "الذات" إلى مرتبة "الاسم" - مرتبة الانسان الكامل - ومن ههنا جاء تغنى الصوفية بسلمى ، وليلى ، ولبنى ، وهم بذلك إنما يريدون إلى الكناية عن الذات الالهية ..

ومع الصورة الداخلية للسموات والارض ، فى الرجل وفى المرأة ، هناك أيضاً صورة خارجية فيهما ، فسماء الانسان عقله ، وأرضه قلبه — عقله المحسوس فى دماغه ، وقلبه النابض بين أضلاعه .. كما أن أرضه

أيضاً جسمه ، و« الله نور السموات والارض » ، موجد عقلى ، وعقلك ، وقلبى ، وقلبك ، ومنورهما ، كما هو موجد السموات والارض ومنورهما ومظهرهما .. والتفسير الخارجى المحسوس موجود فى كتب التفسير كلها ..

« مثل نوره كمشكاة ، فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى » المشكاة هو منع المصباح ، من الفتيل ، ومن المنزل .. وهى هنا جسم الانسان الكامل .. والمصباح القلب ، والزجاجة العقل : « كأنها كوكب درى » ، إشارة إلى صفاء عقله .. تشبهه بالكوكب المضئ ، مع أنها زجاجة مجردة (بلا نور) وذلك لشدة ما هى عليه من الوضاءة ، والنظافة والاشراقه ، حتى ليخيل إليك أن بها ضوء من ذاتها ..

« يوقد من شجرة مباركة زيتونة » .. رجع إلى المصباح الذى هو قلب العارف الكامل ، فقال : إن الزيت الذى يحرقه هذا المصباح ليضئ به ، إنما هو زيت شجرة زيتونة .. ووصفها بقوله « مباركة » لتعرف أن زيتها القليل منه ، يمكث كثيراً فى الاحتراق لأنه ممدود ببركة .. ثم لتعرف أن النور الذى ينبعث من نار الإحتراق ، الذى يحدث من هذا الزيت ، إنما يتضاعف أضعافاً لا حد لها ، فى القوة ، ولا فى بعد الإنبعاث ، فى الآفاق البعيدة ، لأنه ممدود ببركة ، ونماء .. ثم لتعرف أن نارها هى نار موسى ، وذلك بقرينة الاشارة إلى قوله تعالى ، عن موسى « فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن ، فى البقعة "المباركة" ، من "الشجرة" : أن يا موسى !! إنى أنا الله رب العالمين » .. ونار موسى

نار التجلى "الأكبر" - تجلى « الاسم المفرد » : « إنى أنا الله » .. فذلك ما جعل الصوفية يهيمون بنار موسى .. وأنت بأقوالهم، فى ذلك، عليهم .. ثم لتعرف أن نارها مباركة .. و« النار المباركة » هى التى تكون برداً، وسلاماً - لا هى برد، ولا هى حر، وانما هى نور، لا نار، كنار ابراهيم .. فلذلك فهى « لا شرقية ولا غربية » .. فلا تتمكن منها حرارة الشروق، ولا يغمرها ظلام الغروب .. وهذه « الشجرة » إنما هى جسم الانسان الكامل الذى عبر عنه بالمشكاة آنفاً .. وجسم الانسان الكامل لا شرقى، ولا غربى - لا هو ملائكى، ولا هو حيوانى، وانما هو إنسان سوى الخلق، مهيأ لنفخ الروح الإلهى، حيث قال : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » ..

« يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار »، لشدة صفائه .. فلكأنه صفحة المرآة، تعكس الأضواء من كل جانب، حتى أنها لتكاد تضئ بغير نار .. وكذلك جسد الإنسان الكامل، هو مضئ بنور المعرفة، ولو لم تمسسه نار المجاهدة .. فهو مستجيب للترقى لأنه « زيتونة مباركة » .. « نور على نور »، نور « القلب السليم » على نور « العقل الصافى » ، يستعلن النوران مت مشكاة الجسم الصحيح الذى يكسوه الوقار، والجمال، فى الحركة والسكون، ويتضوع منه شميم أطايب الأعراق، ومكارم الأخلاق، وحلاوة الشمائل .. « يهدى الله لنوره من يشاء » يرشد الله إلى « نفسه » من يشاء الله إرشاده من عباده .. وهى أيضاً تعنى يرشد الله إلى « نفسه » من يشاء هذا الارشاد من العباد، على أن

تكون مشيئة هذا العبد للهداية بمرتبة دعوة المضطر.. ذلك بأن الله يستجيب لدعوة المضطر إذا دعاه، حتى وإن كان كافراً.. ولا تكون مشيئة العبد للهداية بهذه المرتبة، أو بأي مرتبة، إلا بسبق مشيئة الله له بها: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين».. فرجع حاصل الأمر إلى صاحب الأمر.. ولكن قبل انكشاف هذا الأمر ذوقاً، ويقيناً، وهو لا ينكشف إلا للعارفين، فإن المريد، الطالب، مكلف بتجويد المشيئة، وبحسن توجه القصد إلى الله، حتى يهديه لنوره. «ويضرب الله الأمثال للناس.. والله بكل شئ عليم..» وردت الاشارة إليه في صدر هذا الكتاب..

بقي هناك أمر!! وهو أن الآية لا تنتهي، حيث تعود كثير من الناس إنهاءها، في كلمة: «عليم»، من عبارة: «والله بكل شئ عليم»، وانما تستمر إلى قوله تعالى: «في بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه».. ولو أن القراء يقفون هاهنا، ثم يستأنفون القراءة بقوله تعالى: «يسبح له فيها بالغدو، والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة، ولا بيع، عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار»، لكان أكمل وأتم مما يفعلون الآن.. ولذلك فإن الحديث عن هذه الآيات لا ينتهي إلا عند نهاية الحديث، عند: «في بيوت أذن

الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه »

قلنا أن المشكاة ، هى جسم ، أو قل جسد ، الانسان الكامل .. والمصباح قلبه ، والزجاجه عقله الذى عليه تنعكس صور الحقائق الأزلية المركوزة فى قلبه ، لأن القلب بيت الرب .. وقلت فى صدر هذا الكتاب : أن سماء الإنسان عقله ، وأرضه قلبه - عقله المحسوس فى دماغه ، وقلبه النابض بين أضلاعه - كما أن أرضه جسمه .. فكأنى جعلت القلب ، والجسم بمعنى واحد .. وما ذلك إلا لأن الانسان الكامل قلب كله - جسده كله من لحم القلب ، بلا قشر ، وبلا غلاف .. فحيث ورد الحديث عن الجسم ، فى هذا الكتاب ، فإنما المراد هذا الجسم "القلبى" .. وعلى هذا المستوى من الفهم نفهم قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها إسمه .. » .. فإن البيوت أجساد العارفين .. وفى طليعتهم الإنسان الكامل .. فإن جسد العارف قد أذن الله له أن يرفع من الأموات .. فهو إنما يجئ إلى هذه الدنيا من العالم الآخر .. وإلى ذلك إشاره النبى عن أبى بكر حيث قال : « من سره أن ينظر إلى ميت يمشى فى الناس فلينظر إلى أبى بكر .. » وجسد الانسان الكامل أذن الله له أن يُرفع ، من مرتبة النباتية ، إلى مرتبة الحيوان ، إلى مرتبة الانسان ، وهى أعلى المراتب .. ومرتبة الحيوان هنا لا تعنى مجرد الحيوان الأعجم ، وانما تعنى أيضاً مرتبة

البشر الحاضر ، القاصر ، عن تحصيل المعارف الإلهية .. ذلك بأن الانسان الكامل بأذن الله له (بيته) أو قل "لجسده" أن يرفع ، فيفتتح ، بهذه الرفعة ، دورة جديدة ، من دورات التكوين على هذه الأرض .. فإنه هو يرتفع: بهذه الدورة الجديدة ، فوق البشر المعاصر ، كما ارتفع البشر المعاصر فوق الحيوان الأعجم ، عند افتتاح الدورة البشرية المعاصرة ، هذه الدورة التى نعيش الآن فى أخريا تها ، إن شاء الله ..

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » من الذى يذكر ، فى هذه البيوت ، اسم الله ؟! كل ذرة من ذرات جسم العارف .. بل كل بليون جزء ، من أجزاء ذرات جسم العارف ، « الحقيقة فوق العبارة » ، تذكر اسم الله بلسان المقال ، وبلسان الحال .. فليس فى دنيا الانسان الكامل غير الله ، لأنه هو الله .. فأنت ، بلا ريب ، تذكر قولنا عن تنزل الذات الصرفة إلى مرتبة الاسم ، ثم إلى مرتبة الصفات ، ثم إلى مرتبة الأفعال .. وقد قلنا أن مرتبة الاسم هى مرتبة الانسان الكامل .. فالاسم الذى تنزلت إليه الذات الصرفه هو "الله" .. وهذا هو معنى قولنا أن الانسان الكامل هو الله ..

إن الحديث عن هذا الأمر طويل ، ولولا أنى أعرف حرصك ، وشدة رغبتك فى المعرفة لأخرت هذا الجواب

إلى وقت أجد فيه الفراغ.. ولربما أعود مرة أخرى.. وليكف الآن من هذا الأمر ما يسر الله.. وهو المسئول أن يتولى هداية الجميع إلى طرق الصلاح..

المخلص

محمود محمد طه

(١٩٦٥/٩/١٥)

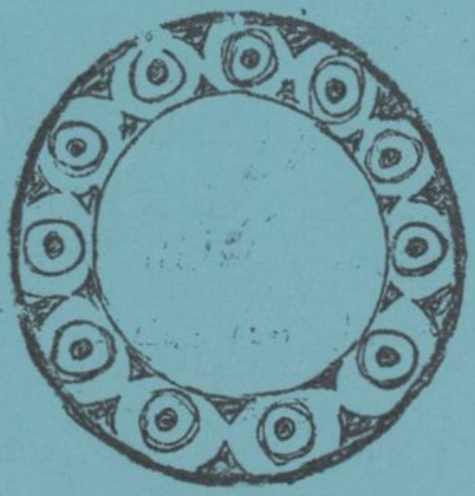

الاخوان الجمهوريون

أمدرمان ص.ب. ١١٥١
تلفون ٥٦٩١٢

هذا الكتاب

فالوجود المحسوس صورة خارجية، لصورة داخلية، فى النفس البشرية.. وهذه الصورة الداخلية هى، فى المرأة، كما هى، فى الرجل.. ولكنها، فى المرأة موجودة على صورة أكثر سذاجة منها، فى الرجل، وبذلك فهى أقرب إلى «الصرافة» التى تنزلت منها "الذات" إلى مرتبة "الاسم" - مرتبة الإنسان الكامل - ومن ههنا جاء تغنى الصوفية بسلمى، وليلى، ولبنى، وهم بذلك إنما يريدون إلى الكناية عن الذات الالهية.

هذا الكتاب

ومع الصورة الداخلية للسموات والأرض، فى الرجل وفى المرأة، هناك أيضاً صورة خارجية فيهما، فسماء الإنسان عقله، وأرضه قلبه - عقله المحسوس فى دماغه، وقلبه النابض بين أضلاعه - كما أن أرضه أيضاً جسمه، و«الله نور السموات والارض» موجد عقلى، وعقلك، وقلبى وقلبك، ومنورهما، ومظهرهما.. والتفسير الخارجى المحسوس موجود فى كتب التفاسير كلها..

الثمن ١٥ قرشاً